

المسيحية هي روح الاستشهاد

الاستشهاد في معناه الظاهري هو سفك الدم، وفي معناه الروحي هو غلبة داخلية للعالم، وانتصار على الخطية وصلب للذات، وطاعة لوصية الإنجيل في اندفاع لحب المسيح للنهائية.

١- الاستشهاد هو غلبة العالم:

بين أيدينا وعد قوي جدًا يحتاج إلى الثقة **"ثقوا أنا قد غلبت العالم"** (يو ١٦ : ٣٣). وأمامنا تطبيق عملي من رئيس الإيمان بقوله: **"رئيس هذا العالم آت وليس له في شيء"**. وبين أيدينا صور القديسين الغالبين مثل أوغسطينوس حين قال "وضعت قدمي على قمة هذا العالم، عندما صرت لا أخاف شيئًا ولا أشتي شيئًا".

إن العالم الذي نواجهه اليوم، بفلسفاته الإلحادية، وبعمله الإلكتروني بانحلاله الخلقي... لهو عالم مغلوب عالم غلبه المسيح **"ثقوا"** عالم غلبه القديسون والآباء.

(أ) غلبوا الخوف:

أمامي صورة الطفل أبانوب الذي من سمنود، علقه الوالي على ساري المركب حتى نزل دمه، لكنه لم يخف بل خاف الوالي واعتزته الحمى فعرض على القديس النزول ليصلي لأجله فيشفى، فرفض أبانوب أن ينزل قبل أن يعلن الوالي عن إيمانه... محققًا قول السيد المسيح "يا أصدقائي لا تخافوا"...

تعالوا بنا نسأل، أثناسيوس في شهادته للحق ضد الأريوسيين، ولما قالوا له: "العالم كله ضدك يا أثناسيوس" قال: "وأنا أيضًا ضد العالم".

أما القديس باسيليوس الكبير فوقف أمام فالانص الأريوسي وقف أمام الوالي يعلن له سر شجاعته، أنه ترك العالم الذي يهدده الوالي بالحرمان منه. وباع ماله الذي يريد أن يحرمه منه، وترك مراكزه وأمجاده الذي يريد أن يحرمه منها... حياته كلها قد سلمها للمسيح... فارتعب الوالي أمامه.

ما أحقرك أيها العالم الجبان، أنت وبيلاتسك
وهيرودسك ورؤساء كهنتك وفريسيك وأموالك
وصيارفتك.. تكتلت بكل قوتك لتصلب المسيح. والحقيقة
إن الصليب لم يكن علامة على انتصارك، بل على هزيمتك
وفشلك على تغيير مبادئ المسيح وشهادة على غلبة
المسيح لك ورجوعك مخزيًا.

(ب) أمجاد العالم:

اسألوا مكسيموس ودوماديوس أولاد الملوك الذين خلعوا
التيجان ووضعوها تحت الأقدام... إن كرامة المسيح
أفضل من كرامة العالم. هرب مكسيموس من أن يكون
بطريكًا لكرسي رومية، وهرب دوماديوس من أن يجلس
على عرش روما، وتتلמד الاثنان تحت أقدام الرب يسوع في
برية شيهيت.

ما أحقر أمجادك أيها العالم:

غلبها أنطونيوس فباع ٣٠٠ فدأنا وهرب من أمواله الزائلة... غلبها باخوميوس عندما هرب من درجة الكهنوت ليس احتقارًا بل زهدًا.

عزيزي الشاب يا من تجري وراء المراكز... حتى أنك تسعى للهجرة لأجل مركز أو درجة فاتتك، ثق تمامًا أن مجد العالم يهرب دائمًا أمام الذين يجرون وراءه في أغنى بلاد العالم.

(ج) شهوات العالم :

أخي الشاب، أختي الشابة، لا تخف من العالم، لأنه عالم مغلوب. ماذا فيه: شهوة الجسد، شهوة العيون، تعظم المعيشة. كل هذا زائل. إن الموضات السريعة التغير هي شهادة قاطعة على اضطراب العالم وأنه في حالة ترنح كترنح السكران. هذا الجريان السريع نحو الشهوة هو نوع من الاندفاع في حالة سكر نحو الهاوية للانتحار.

عزيزي الشاب، هل تعلم أن العالم الذي يجابهك الآن بانحلاله، وبتخنته، بالحاده وبانحلاله، بشره وشراسته، باضطهاده وباحتقاره لكل من لا يسير معه (لتمسكك بمبادئك). هل تعلم أنه عالم مهزوم قد غلبه يسوع. أما أنت أيها العالم فاعلم جيداً أن يسوع قال لنا **"ثقفوا أنا قد غلبت العالم"**. ونحن لا نواجهك بالمهادنة ولكن بصليب ربنا يسوع المسيح **"الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم"** (غل ٦ : ١٤). فعندما تصلبنا أيها العالم ستكون هذه شهادة لنا على فشلك في إخضاعك لنا والسيطرة على مبادئنا.

من أجل هذا يا أخي تشدد وتشجع وكن رجلاً لا يرح سفر هذه الشريعة من فمك بل **"تلهج فيه نهائاً وليلاً"** لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيها **"حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح"** (يش ١ : ٨) نحن نحتاج إلى إيمان الشهداء، إيمان في أقوال المسيح قد غلب العالم **"وهذه الغلبة هي إيماننا"** (١ يو ٥ : ٤).

الاستشهاد نصره على الخطية

الجهاد ضد الخطية اليوم هو نوع من الاستشهاد.

أيتها الكنيسة المجاهدة، هيا بنا نقاوم الخطية المزيفة حتى الدم.

أيتها الكنيسة المجاهدة، ربنا يسوع قد دان الخطية في الجسد، وهو أمامنا اليوم على الصليب، ونحن نهتف بقوة من ورائه **"أين شوكتك يا موت"**، وما شوكة الموت إلا الخطية. وعندما نردد هذا الهتاف خلف المسيح يصبح ذلك شهادة للآخرين على إيماننا.

أيتها الكنيسة المجاهدة هيا بنا تعلن للعالم أن دم يسوع يظهر من كل خطية.

وأنت أيتها الكنيسة المجاهدة في جهادك بقوة الصليب مطهرة بدمه، وغالبة به تناشدين الكنيسة المنتصرة قائلة:

يا فوتامينا العفيفة: لقد فضلت أن تلقي في الزيت المغلي تدريجيًا على أن يعرى جسمك، فيا أيتها العفيفة فوتامينا اشهدي لبناتنا وقولي عن سر قوتك وأمانتك وجهادك.

وأنت يا بربتوا العفيفة: عندما طرحك الثور في حلقة الاستشهاد، لم تهتمي بطعنات الثور اهتممت بتغطية جسدك عندما تمزقت ثيابك بقرن الثور، أيتها العفيفة صلي من اجل بناتنا في وسط موضات العالم.

وأنت أيها الشهيد العظيم مارجرجس: عندما أحضروا لك المرأة الخلية في حجرة واحدة وقفت تصلي حتى أنها أعلنت شاهدة قائلة: "أحضروني لأسقطك بسحر خلاعتي، فجذبتني بسحر طهارتك" أيها العظيم مارجرجس علم شبابنا اليوم أن للطهارة سحر وجاذبية.

وأنت يا يوسف الصديق: أمام امرأة فوطيفار ستشهد لنا دائماً أن الله موجود معك فكيف تصنع الشر أمامه، سوف تشهد لنا أنك تخاف الله أكثر من بطش امرأة سيدك.

إنها الآن ساعة العمل، للشهادة للطهارة مع فوتامينا وبرتوا والقديس جرجس ويوسف الصديق وسمعان الخراز وموسى الأسود. كل هذا بقوة المسيح الحال فينا "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني".

٣- الاستشهاد انتصار على الذات:

"من أراد أن يأتي ورأيي فلينكر نفسه...." (مر ٨ : ٣٥).

فبدء الطريق هو الكفر بالذات، هذه الذات التي طالما وقفت أمام الكثيرين في لحظة الاستشهاد فأنكروا المسيح...

أتعرفين أيتها الذات ما سر فتور الحب بين الإخوة في البيت الواحد، في الكنيسة الواحدة؟!!

السبب أنك بدل من أن تفكري في خلاص ذاتك، فكرت في غيرك، وبدل أن تفكري في خطيتك اهتممت بالحديث عن خطايا الآخرين...

آه يا ذاتي لو فكرت لحظة في طاعة المسيح وصلبت ذاتك **"مع المسيح صلبت"** لعم السلام في حياتك وأسرتك وكنيستك.

آه يا ذاتي لو عرفت سر انزعاجك في الخدمة الواحدة في أحوال الكنيسة العامة، لعرفت السر أنك نسيت نفسك فتمسكين برأيك حتى لو أدى لتحطيم الكنيسة، لماذا كثرة

الطوائف في القرن العشرين، لماذا النقد الشديد لوصايا يسوع والاندفاع نحو الإنجيل الاجتماعي... السر في كل هذا هو ذاتي.

يا روح ربنا يسوع- روح إنكار الذات: روح الاتضاع، روح الصليب... اعمل اليوم في الكنيسة بقوة يوم الخمسين.

ما ألعنك أيتها الذات: متى أنكرك وأكفر بك، متى أصبح شهيداً أمامك وأقول **"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في"** (غل ٢ : ٢٠).

كتب البابا ثاؤنا السكندري إلى اثنين يتنازعان الأسقفية على بطريركية روما... قال لهما إن إكليل وحدة الكنيسة أعظم من إكليل الاستشهاد. لأن الثاني ينتفع به إنسان، أما الأول فتنعم به الكنيسة كلها.

ربي يسوع في عيد النيروز أريد أن أذوق الاستشهاد فأعاهدك بصلب ذاتي والتفكير في خطاياي وحدي... أعني..

ربي أريد أن لا أحيا أنا بل أنت فيّ،

ربي أريد أن أنقص أنا لتزيد أنت،

ربي أريد أن أختفي أنا لتظهر أنت،

ربي أريد أن تختفي رائحتي الكريهة لتفوح رائحة
المسيح فيّ.

٤- المسيحية استشهاد في طاعة الوصية:

كل منا ينفذ الوصية بدرجة معينة حسب ما يرى على
قدر قامته الروحية وآرائه الشخصية، والفرق بيننا وبين
آبائنا القديسين أنهم نفذوا الوصية حتى استشهاد.. أي
حتى النهاية، أما نحن اليوم فنخاف من الوصية ونحللها،
ونجد لها أكثر من مبرر للهروب منها. الكتاب المقدس
يعرض الوصية إلى الاستشهاد كما يأتي:

المحبة.... إلى الميل الثاني والخذ الأيسر. إلى إعطاء

الثوب الواحد

الرحمة.... إلى إعطاء الثوب الواحد بعد الرداء. مثل ذلك

القديس الذي باع كتابه المقدس الواحد الغالي عليه ليعطي

المحتاجين ولما سألوه لماذا هذا، قال إن الإنجيل هو الذي أمرني لأبيع كتابي.

أنكار الذات.... إن الهروب من كل مجد في العالم، حتى داخل الكنيسة، إلى الاختفاء الكامل وحب المسكنة مثل مكسيموس ودوماديوس وأرسانيوس. لقد فرح أبو مقار عندما اتهموه ظلمًا، وعندما أرادوا الكرامة له هرب منها بسرعة خوفًا من وقوعه في محبة المديح. إن طاعة وصية الإنجيل لهذا الحد تدفعنا إلى:

محبة طاعة المسيح إلى الاستشهاد:

الاستشهاد قبل كل شيء حب، واندفاع في الحب حتى الدم. هو حب في تنفيذ وصية المسيح محبة في المسيح **"الذي يحبني يحفظ وصاياه"**. ربي يسوع سأكره الخطية وأقاومها بنعمتك حسب وصيتك لأجل خاطرك.

سأضع كل مالي في خدمة عروسك. سأصلي كثيرًا فيها ومن أجلها حبًا فيك.

سأتوب وابدأ من جديد محبة فيك وفي الحياة المقدسة معك.

سأزهد في العالم وأدوسه بقدمي لأجل حبك، وسأصوم لأجل حبك معبراً عن زهدي في العالم حباً فيك.

إلهي: أني أتكلم كثيراً وأنت تعلم عجزتي، فأنا عاجز في محبتي لك. عاجز في شكري لك. ماذا أقدم لك من أجل كثرة حسناتك... أريد أن أقدم ذاتي حباً فيك أريد أن أحمل سمات الرب يسوع في حياتي.

هل لي أن أقول مع القديس أغناطيوس إني سوف لا أشبع من حبك إلا إذا سفك دمي من أجل خاطرك؟.

أيتها الأم العذراء التي يجوز في قلبها سيف صلي عنا، أيها الشهداء ولباس الصليب والمجاهدين صلوا عنا... ربي يسوع اقبل طلباتهم وأعنا آمين؟